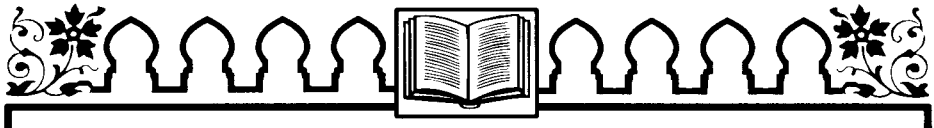

# الباب الأول

● مقدمات أساسية:

ويحتوي على ثلاثة فصول:

ـ الفصل الأول: الفرد.. الجماعة.

ـ الفصل الثاني: المبادىء.. والواقع.

ـ الفصل الثالث: الحقوق والواجبات.

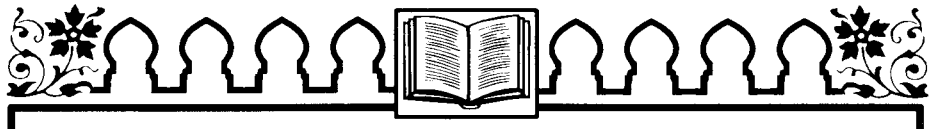

# الفصل الأول

# الفرد.. والجماعة

الفرد هو أساس الجماعة، واللبنة الأولى في بنائها، والمجتمع هو مجموعة من هذه اللبنات.. وكل واحد منهما يؤثر في الآخر إيجاباً أو سلباً.

[فالجماعة تتكون من كتل بشرية تتميز بلون من الترابط الداخلي بين أفرادها، يجمعهم على هدف واحد ويوجههم إلى غاية واحدة في الحياة.

وكلما كان هذا الترابط على أساس من دين قويم أو كتاب كريم، أو رسالة خالدة كلما كان سديد الخطى قويم السلوك.

وكلما كانت الروابط بين أفراد المجتمع على أساس من قوانين البشر وفلسفاتهم كلما كانت أدعى إلى الحيرة والاضطراب][1].

## علاقة الفرد بالمجتمع:

كان للإسلام دور رائد في بيان علاقة الفرد بالجماعة، والجماعة وموقفها من الفرد.

فالإسلام يذيب الفرد في الجماعة، حتى أنه إذا ناجى ربه تكلم

---

(١) توفيق محمد سبع ـ قيم حضارية في القرآن الكريم ـ القاهرة، دار المنار للنشر والتوزيع، بدون ت، جـ١، ص٤٢.

بلسان الجماعة وهتف به.. فهو يكرر في كل يوم عدة مرات: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾[1] ومن قبلها وبصيغة الجمع ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾[2].

بل نجده كذلك يحمد ربه على كل خير ينزل بالآخرين كما يحمده على الخير ينزل به، فيردد كل يوم في الصباح والمساء «**اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك فلك الحمد ولك الشكر**»[3].

وإذا نظرنا إلى العبادات نظرة سريعة نجد أن الإسلام يحرص على أن تقام في الجماعة حتى تحقق أهدافها وتؤتي ثمارها فالصلاة في جماعة تفوق صلاة الفرد منفرداً بخمس وعشرين درجة أو بسبع وعشرين درجة على اختلاف في الرواية «فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ: «**صلاة الرجل في جماعة تضعف على صلاته في بيته وفي سوقه خمساً وعشرين ضعفاً**...»[4] ولم يرخص رسول الله ﷺ للأعمى أن يصلي في بيته وقال له: «**هل تسمع النداء بالصلاة؟** قال: نعم، قال: **فأجب**»[5].

بل إن النبي ﷺ حدث عن نفسه قائلاً: «**والذي نفسي بيده لقد هممت أن آمر بحطب فيحتطب ثم آمر بالصلاة فيؤذن لها، ثم آمر رجلاً فيؤم الناس، ثم أخالف إلى رجال فأحرق عليهم بيوتهم**»[6] فهذه النصوص الكريمة تدل مجتمعة على أهمية الجماعة والترغيب في لزومها لما لها من فوائد في زيادة الألفة وتقوية الروابط بين المسلمين.. ولو كان الأمر أمر صلاة وفقط لما كان هذا النكير على من يؤديها في بيته.

---

(١) (٢) الفاتحة: ٤، ٥.

(٣) رواه بو داود والنسائي وابن حبان في صحيحه، حسن البنا، المأثورات، الكويت، مكتبة المنار بدون ت ص٢٩.

(٤) رواه البخاري، ١١٣/٢ في الجماعة، باب فضل صلاة الجماعة، وفي المسجد، باب الصلاة في مسجد السوق، وفي البيوع، باب ما جاء في ذكر الأسواق، ومسلم رقم ٦٤٩ في المساجد باب فضل صلاة الجماعة وانتظار الصلاة.

(٥) رواه مسلم، رقم ٦٥٣ باب فضل صلاة الجماعة والتشديد في التخلف عنها.

(٦) أخرجه مسلم رقم ٦٥٢ في المساجد باب فضل صلاة الجماعة.

والصيام والحج لهما وقت محدد يؤديان فيه.. يجتمع المسلمون في المشارق والمغارب على شعيرة واحدة وفي وقت واحد وما ذلك إلا لتأكيد آصرة الجماعة وتنمية رابطتها.

والزكاة في مال الغني ضريبة يؤديها للفقير لتحنو قلوب بعضهم على بعض وتزداد الألفة والمحبة بينهم.

## توازن في الحقوق والواجبات:

ولضمان سلامة المجتمع ومسيرة حياته وازن الإسلام بين حقوق الفرد والمجتمع، وواجبات كل منهما. [فهو لم يجعل المجتمع هو الموجود الوحيد المنفرد، وله كيان مستقل فقط والأفراد ليست لهم أية شخصية تذكر كما اتجهت إلى ذلك بعض النظم.

بل جعل الإسلام للمجتمع شخصية وكياناً مستقلاً كما جعل للفرد شخصية مستقلة في دائرة خاصة، داخل نطاق المجتمع ووفقاً لهذه النظرة: حدد مصلحة المجتمع ومصلحة الفرد، فلم يجعل مصلحة الفرد تطغى على مصلحة المجتمع وإنما حدد مصلحة الفرد: بحيث لا تضر مصلحة المجتمع.

وكذلك لم يجعل مصلحة المجتمع تطغى على مصلحة الفرد؛ فإذا كانت هناك مصلحة للمجتمع وفيها ضرر على الفرد فلا بد من تعويض الفرد عن حقه][1].

وبهذا يظهر تميز الإسلام عن المعسكرين الاشتراكي والرأسمالي في موازنته بين الحقوق والواجبات لكل من الفرد والجماعة.. فلم يستغل الفرد ويطحنه في سبيل مصلحة الجماعة كما فعلت النظم الاشتراكية، ولم يغالي في حقوق الفرد على سبيل مصلحة الجماعة كشأن الرأسمالية.

---

(١) مقداد يلجن، منهاج الدعوة إلى الإسلام في العصر الحديث، مصر، المطبعة المصرية ومكتبتها، ط١ سنة ١٣٨٩هـ /١٩٦٩م، ص٦٠.

[فالفرد يعني المسؤولية، وكل استبعاد للفرد من حركة الحياة يعني إهدار أعظم مبادىء الحياة ـ المسؤولية ـ وإن اختفت المسؤولية: فقدت الحياة الإنسانية مقوماتها بل نقول: فقدت ذاتها.

فالمسؤولية تبدأ مع الفرد وتبلغ كمالها في حركته الحرة الدائبة... فإذا كان النوع الإنساني قد اختبر واصطُفي ليحمل كلمة الله وينفذ فوق الأرض مشيئته فإن الفرد أولاً: هو الذي يتشكل منه النوع كله.. والفرد ثانياً: هو الذي تناط به مسؤوليات هذا التكليف وهذا الاختيار ومن مسؤولياته كفرد.. تتشكل المسؤولية الجماعية كلها][1] فالفرد مسؤول عن المجتمع بصفته أباً أو بصفته حاكماً أو قائداً وبصفته أماً أو بصفته خادماً.. وما المجتمع إلا هذه المسؤوليات المتشابكة.

وصدق الرسول الكريم ﷺ القائل في الحديث الذي رواه [عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«كلكم راع ومسؤول عن رعيته فالإمام راع ومسؤول عن رعيته والرجل راع في أهله وهو مسؤول عن رعيته والمرأة في بيت زوجها راعية وهي مسؤولة عن رعيتها والخادم في مال سيده راع وهو مسؤول عن رعيته»**.

قال: فسمعت هؤلاء من النبي ﷺ وأحسب النبي ﷺ قال: **«الرجل في مال أبيه راع وهو مسؤول عن رعيته فكلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته»**][2] [وضع الرسول ﷺ في هذا الحديث الشريف ـ الذي هو من جوامع كلمه ـ كل فرد من أفراد المسلمين حاكمين ومحكومين، ذكراناً وإناثاً، مخدومين وخادمين أمام مسؤوليته المنوطة به حسب منصبه ووظيفته.

---

(١) خالد محمد خالد، الدين للشعب، مصر، مكتبة الأنجلو المصرية ط٣ سنة ١٩٦٥م ص١٣٦، ١٣٧ بتصرف.

(٢) البخاري ٤٥/١٣، ٤٦ في الفتن، باب الفتن التي تموج كموج البحر، والترمذي رقم ٢٢٦٣ في الفتن، باب لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة، والنسائي ٢٧٧/٨ في القضاة، باب النهي عن استعمال النساء في الحكم، وأخرجه أحمد أيضاً في المسند ٣٨/٥ و٤٣ و٤٧ و٥١.

فكل فرد مسلم يعتبر راعياً ومرعياً في وقت واحد، عليه حقوق يجب أن يؤديها لأهلها، وله واجبات يجب أن تؤدى إليه، وقد عمم النبي ﷺ في مطلع الحديث بقوله: «**كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته**» وفي آخره بقوله: «**كلكم راع ومسؤول عن رعيته**» وخص فيما بين ذلك.

فذكر أعلى أصناف الناس في أول من ذكر وأدناهم في آخر من ذكر، وأوساطهم فيما بين ذلك، فالمقصود من الحديث استغراق كل أفراد المسلمين بذكر أعلاهم وأدناهم ووسطهم][1].

## المجتمع والحضارة:

إذا قام كل فرد في المجتمع بمسؤولياته أدى ذلك إلى قيام مجتمع متحضر تعرف فيه قيمة الفرد وتصان حرماته فتنصرف قوى الفرد للعمل والإنتاج الذي يعلي شأن المجتمع إضافة إلى القيم السائدة فيه.

[فالحضارة صفة لهذا المجتمع تتمثل في رقيه أوضعته.. في ضيق مضطربه أو سعته.. في نظمه ومؤسساته.. في مكاسبه وإنجازاته... في القيم السائدة فيه والأخلاق السارية في أفراده.. في مدنه وعمائره.. في مساجده ومنائره.. في حدائقه وبساتينه.. في تنظيمه وتخطيطه... في قوانينه ودساتيره... في أوضاعه الصحية والسياسية والاجتماعية، كل هذه العناصر وغيرها تعرف بأنها الحضارة، والإنسان صانعها ومبتكرها بتفاعله مع الكون، وتجاربه مع الحياة، وتعاطفه مع الوجود.. مستخدماً العلم وسيلة في تحقيق إنجازاته مستشعراً هداية ربه في كل ما يأتي ويذر.

وما المجتمع بهذا التصور إلا كالجسد وما الحضارة إلا روحه.. وما المجتمع إلا الإطار والشكل وما الحضارة إلا المضمون والمحتوى، وبتعبير أوضح: الحضارة عمل الإنسان في ساحة المجتمع.. فالعمل القائم على

---

(١) عبدالله أحمد قادري، المسؤولية في الإسلام، المدينة المنورة مكتبة طيبة، ط٢، ١٤٠٥هـ /١٩٨٥م، ص١٣، ١٤.

العلم والهداية هو صانع الحضارة.. والإنسان أهم ركن في البناء الحضاري.. والمجتمع هو الساحة التي تتسع لنشاط الإنسان][1].

أما ازدراء الإنسان بسبب لونه أو جنسه أو معتقده.. أما ضياع القيم والأخلاق فكل ذلك دليل على ارتكاس الإنسانية وبعدها عن الحضارة وإن ادعت الأمم التي تفعل ذلك أنها حازت على الحضارة في أوج مظاهرها.

الحضارة كما هي عمارة وتشييد وبناء وتصنيع وإنتاج.. هي كذلك تراحم ومودة.. تعاون وتكافل.. احترام وتقدير.

## لذة العمل لصالح الجماعة:

يشعر الإنسان في أمة ما بالمهانة إذا أجبر على العمل لصالح الجماعة دون اعتبار لحقوقه.. لكن الإسلام يدفع المسلم لصالح الجماعة حسبة لله طلباً للأجر منه أو نيل المنزلة عنده، حتى وإن وجد من المجتمع بخساً لحقه فهو لا يعامل بالمثل إنما يقدم الإحسان، حتى وإن أساء الناس إليه.

والإنسان حين يعمل لصالح المجتمع يحبه الله ويجعل أعماله كلها في مقام العبادات بل تفضلها في بعض الأحيان متى توافرت النية الصالح وإخلاص الوجهة لله.

[قال ﷺ: «**أحب الناس إلى الله تعالى أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله عزَّ وجلَّ سرور يدخله على المسلم، أو يكشف عنه كربة، أو يقضي عنه ديناً، أو يطرد عنه جوعاً ولئن أمشي مع أخي في حاجة أحب إليَّ من أن أعتكف في هذا المسجد** ـ مسجد الرسول ﷺ ـ **شهراً**»][2] إن العمل لصالح المجتمع يورث صاحبه لذة وسعادة عبر عنها أحد المفكرين فقال:

[عندما نعيش لذواتنا فحسب، تبدو لنا الحياة قصيرة ضئيلة، تبدأ من

---

(١) توفيق محمد سبع، قيم حضارية في القرآن الكريم، ص٤٣.

(٢) رواه الألباني في الأحاديث الصحيحة رقم ٩٠٦ نقلاً عن الأخوة، لجاسم بن محمد مهلهل الياسين، مصر، دار الوفاء، الكويت دار الدعوة، ط٣ سنة ١٤١٤هـ ص٧٣.

حيث بدأنا نعي، وتنتهي بانتهاء عمرنا المحدود! أما عندما نعيش لغيرنا. . . فإن الحياة تبدو طويلة عميقة تبدأ من حيث بدأت الإنسانية وتمتد بعد مفارقتنا لوجه هذه الأرض! إننا نربح أضعاف عمرنا الفردي في هذه الحالة، نربحها حقيقة لا وهماً، فتصور الحياة على هذا النحو يضاعف شعورنا بأيامنا وساعاتنا ولحظاتنا، وليست الحياة بعد السنين ولكنها بعداد المشاعر. . .

إننا نعيش لأنفسنا حياة مضاعفة حينما نعيش للآخرين وبقدر ما نضاعف إحساسنا بالآخرين نضاعف إحساسنا بحياتنا، ونضاعف هذه الحياة ذاتها في النهاية][1].

بهذه النظرة الحانية ينظر المسلم إلى العمل لخدمة المجتمع وشتان بين هذه النظرة وبين من لا يرى في الحياة إلا ذاته ولا ينظر إلى الناس إلا بمقدار ما يحصل له من نفع.

## وظيفة المجتمع في الإسلام:

[إن للمجتمع وظيفة ضخمة وعظيمة في الإسلام، غير أنها لم تنل أهمية في دراستها، والتاريخ الإسلامي هو المجتمع نفسه، فحركة التاريخ هي حركة المجتمع، وتلك الحركة تستحق التفكير وذلك ما يخيف الغرب، فالمجتمع الإسلامي فيه تضامن ملحوظ وتماسك أعضائه وولائهم شديد، وليس المجتمع الإسلامي بالوحدة الاجتماعية فحسب، ولكنه أيضاً وحدة دينية تمتزج فيها الدولة بالدين.

ويقوم على العقيدة الفردية وهو ـ أي المجتمع ـ مظهر المثل الأعلى الديني، ومظهر عملي لعقيدة المسلم الشخصية، فعضوية الفرد المسلم في مجتمعه ليست بالشيء المضاف أو التابع إنما هي مظهر لإسلامه الشخصي][2].

---

(١) سيد قطب، أفراح الروح، القاهرة، دار الخلافة، بدون ت ص٨، ٩ بتصرف.

(٢) د/محمد إبراهيم الفيومي، لماذا يخاف الغرب من الإسلام، مجلة الأزهر الصادرة عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، عدد ذي الحجة سنة ١٤١٦هـ أبريل ومايو ١٩٩٦م الجزء الثاني عشر، السنة الثامنة والستون ص١٨١١، ١٨١٢.

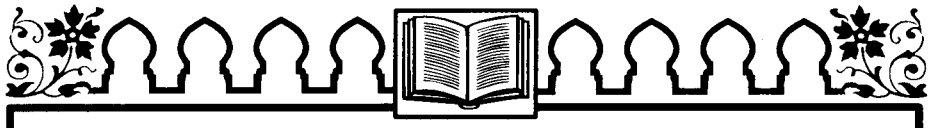

# الفصل الثاني

# المبادىء... والواقع

يعيش العالم هوة سحيقة بين المبادىء والواقع، وانفصاماً واضحاً بين الشعارات المعلنة وبين الواقع المعاش ويصاب الناس بدهشة بين كلام مثالي وواقع مرير.. يتغنى العالم بالديمقراطية وحقوق الإنسان صباح مساء.. وحينما ينظر الناس فلا يجدون إلا صوراً شوهاء.. فصيانة الحقوق من حق الإنسان الأبيض فقط!! إذا مس الهواء طرف أمريكي قامت الدنيا ولم تقعد! وكأن الحقوق وقف على البيض دون السود والغربيين دون العرب والمسلمين.

[في أمريكا قام أستاذ القانون في جامعة ولاية إيوا بدراسة بإحصائية لأحكام الإعدام الصادرة ضد كل من البيض والسود في ولاية جورجيا، اتضح منها أن السود إذا قتلوا بيضاً فإن تعرضهم لحكم الإعدام يكون بنسبة إحدى عشرة مرة على حين تكون النسبة مرة واحدة إذا قتل البيض سوداً][1].

وكان هذا الانقصام واضحاً تجاه الكثير من قضايا المسلمين إن لم

---

(١) انظر النشرة الإخبارية لمنظمة العفو الدولية يونيو ١٩٨٧م نقلاً عن الغزو الفكري وهم أم حقيقة، د/محمد عمارة، مصر، الأمانة العامة للجنة العليا للدعوة الإسلامية بالأزهر الشريف بدون ت ص١٣٥.

يكن كلها، وما مأساة المسلمين في البوسنة والهرسك ودول البلقان الآن إلا شاهد صدق على عنصرية الغرب ضد الإسلام؛ وإن صدَّروا للناس ـ كما يزعمون ـ حقوق الإنسان ـ وإن فرضوا العقوبات على الدول بحجة عدم رعايتها لحقوق الإنسان!!.

هذا الواقع النكد جعل الكثير من دعاة الإسلام ينبذ الثقة بالغرب وشعاراته، ويدع المسلمين الذين يسامون الخسف في كل مكان إلى أن يطلبوا حقهم باللغة التي يفهمها هؤلاء.. فيصرح الشيخ عبدالحميد المسلوت من كبار علماء الأزهر قديماً بقوله: [إنه لا ينبغي أن نخاطب هؤلاء الناس باسم السلام العالمي ولا الأمن الدولي ولا القوانين التي يحتمون بها ويدَّعون أنهم حاملوا لوائها؛ لأن هذه الكلمات لا وزن لها في نفوسهم ولا تقدير لها في مجتمعاتهم، ولا ينبغي أن نخاطبهم باسم العاطفة الإنسانية والرحمة بالبشرية التي تسكن كل قلب وتسري في كل نفس فقد صفرت قلوبهم من العاطفة وخلت نفوسهم من الرحمة.. وأصبحت كالحجارة أو أشد قسوة.

فهؤلاء الذين تمردوا على إنسانيتهم وثاروا على بشريتهم ولبسوا جلود الوحوش الكاسرة والذئاب العادية لا يجدي لديهم المنطق ولا ينفع عندهم الاتجاه إلى الشعور والإحساس. أما منطقهم الذي يفهمونه واللغة التي تفزعهم وترهبهم هي لغة القوة أو لغة المقاومة المصممة المعاندة التي لا تضعف ولا تلين][1].

## تميز الإسلام:

أما الإسلام فهو لا يفصل بين القول والعمل (الواقع) بل يدعو أصحابه إلى ترجمة معاني الإسلام وأخلاقه إلى سلوك واقع، ويشدد النكير على من يخالف قوله فعله بل يجعل صاحب هذا السلوك ممقوت من الله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ

(١) الشيخ عبدالحميد المسلوت، المسلمون على مفترق الطرق، مجلة الأزهر، جمادي الأولى سنة ١٤١٣هـ نوفمبر سنة ١٩٩٢م ص٧٠٢.

تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾﴾[1].

ويحتاج الواقع في حياتنا إلى من يصلحه بشريف المبادىء وساميها ليصل به إلى الكمال أو الحالة المثالية التي ترتجى لكل حياة.

[وليست المشكلة في هذه الثلاث ـ الواقع، المبادىء، الكمال، إنما هي في ـ السَّويّ ـ الذي يدير المبادىء بأقصى ما يمكن من مهارة ليعود بأرفع قدر من الإصلاح دون أن يقود المجتمع إلى كارثة تأخذ في طريقها كل فلاح][2].

وهذه العناصر الثلاثة متضامنة هي الطريق إلى حياة آمنة وادعة.

إذاً الفيصل في الموضوع ـ النفسية السوية ـ التي تحاول إسقاط المبادىء إلى واقع في الحياة.. أما الذين يقولون شعارات بمعزل عن الحياة فإن شعاراتهم بعد قليل تموت.

يقول الأستاذ سيد قطب: [لست ممن يؤمنون بحكاية المبادىء المجردة عن الأشخاص.. لأنه ما المبدأ بغير عقيدة حارة دافعة؟ وكيف توجد العقيدة الحارة الدافعة في غير قلب إنسان؟

إن المبادىء والأفكار في ذاتها ـ بلا عقيدة دافعة ـ مجرد كلمات خاوية أو على الأكثر معان ميتة! والذي يمنحها الحياة هي حرارة الإيمان المشعة من قلب إنسان.

لا حياة لفكرة لم تتقمص روح إنسان، ولم تصبح كائناً حياً دب على وجه الأرض في صورة بشر.

كل فكرة عاشت قد اقتاتت قلب إنسان!

أما الأفكار التي لم تطعم هذا الغذاء المقدس فقد ولدت ميتة ولم تدفع بالبشرية شبراً واحداً إلى الأمام][3].

---

(١) الصف: ٢، ٣.

(٢) د/ علي أحمد الخطيب، الواقع والمبادىء، مجلة الأزهر، جمادي الآخرة سنة ١٤١١هـ ديسمبر، يناير سنة ١٩٩١ ص٦٠٩.

(٣) سيد قطب، أفراح الروح ص٢٢، ٢٣ (بتصرف).

# الفصل الثالث

# الحق... والواجب

لما كان موضوع بحثنا عن حقوق الإنسان وواجباته ـ كان لا بد من إلقاء الضوء على شقي الموضوع [الحق.. والواجب].

## تعريف الحق لغة:

[الحق في اللغة له معان مختلفة تدور حول معنى الثبوت والوجوب مثل قوله تعالى: ﴿لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾﴾ [يس: ٧]، وقوله سبحانه: ﴿لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَـٰطِلَ﴾ [الأنفال: ٨] أي يثبت ويظهر، وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ﴾ [الإسراء: ٨١] أي الأمر الموجود الثابت، وقوله تعالى: ﴿وَلِلْمُطَلَّقَـٰتِ مَتَـٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾﴾ [البقرة: ٢٤١] أي واجباً عليهم.

وتطلق كلمة الحق على النصيب المحدد مثل قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾﴾ [المعارج: ٢٤، ٢٥]، كما تطلق على العدل في مقابلة الظلم مثل قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ﴾ [غافر: ٢٠][1]، [وقد ورد في القرآن مادة «الحق» بمشتقاتها في مائتين وثلاثة وثمانين موضعاً

(١) د/وهبة الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، دمشق، دار الفكر، ج٤، ط٣ سنة ١٤٠٩هـ سنة ١٩٨٩م ص٨.

بدءاً من سورة البقرة وحتى سورة العصر... وقد أشار صاحب المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي أن مادة «الحق» وردت في السنة النبوية في مائة وثمانية وخمسين حديثاً.

ولقد شرف الله الحق إذ جعله اسماً من أسمائه جلَّ وعلا، قال تعالى: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۚ﴾ [الأنعام: ٦٢].

والحق بجانب كونه اسماً من أسماء الله جلَّ وعلا فهو وصف لدينه ولكتابه العزيز، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ﴾ [النساء: ١٧٠]، وقال تعالى: ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡحَقِّ﴾ [المائدة: ٨٤]، وقال تعالى: ﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوۡمُكَ وَهُوَ ٱلۡحَقُّۚ﴾ [الأنعام: ٦٦].

وقد بيَّن الله سبحانه وتعالى أنه هو الذي يتولى أمر الحق هداية ونصراً، قال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يَهۡدِي لِلۡحَقِّۗ﴾ [يونس: ٣٥]، وقال تعالى: ﴿وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ﴾ [الإسراء: ٨١]، وقال: ﴿بَلۡ نَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَى ٱلۡبَٰطِلِ﴾ [الأنبياء: ١٨]][1].

## تعريف الحق شرعاً:

[قال الأستاذ مصطفى الزرقا في كتابه «المدخل إلى نظرية الالتزام في الفقه» ف٣ ص١٠ وما بعدها:

الحق هو اختصاص يقرر به الشرع سلطة أو تكليفاً.

وهو تعريف جيد لأنه يشمل أنواع الحقوق الدينية كحق الله على عباده من صلاة وصيام ونحوها.

والحقوق المدنية كحق التملك.

والحقوق الأدبية كحق الطاعة للوالد على ولده وللزوج على زوجته، والحقوق العامة كحق الدولة في ولاء الرعية لها.

---

(١) سليمان الحقيل، حقوق الإنسان في الإسلام، بدون ناشر، ط سنة ١٤١٥هـ ص١٣ (بتصرف).

والحقوق المالية كحق النفقة، وغير المالية كحق الولاية على النفس.

ويتميز هذا التعريف بأنه أبان ذاتية الحق بأنه علاقة اختصاصية بشخص معين كحق البائع في الثمن يختص به، فإن لم يكن هناك اختصاص بأحد وإنما كان هناك إباحة عامة كالاصطياد والاحتطاب والتمتع بالمرافق العامة فلا يسمى ذلك حقاً وإنما هو رخصة عامة للناس][1].

والدكتور الزحيلي يشرح محترزات التعريف بعد بيانه لمعنى خصوصيته فيقول:

والسلطة: إما أن تكون على شخص كحق الحضانة والولاية على النفس أو على شخص معين كحق الملكية. والتكليف: التزام على إنسان إما مالي كوفاء الدين، وإما لتحقيق غاية معينة كقيام الأجير بعمله.

وأشار التعريف لمنشأ الحق في نظر الشريعة وهو إرادة الشرع، فالحقوق في الإسلام منح إلّهية تستند إلى المصادر التي تستنبط منها الأحكام الشرعية، فلا يوجد حق شرعي من غير دليل يدل عليه، فمنشأ الحق هو الله تعالى إذ لا حاكم غيره ولا تشريع سوى ما شرعه][2].

## منشأ الحق وضوابطه:

ثم يعمد الدكتور الزحيلي إلى إيضاح معنى منشأ الحق وكونه إلّهي ويضع بعض الضوابط التي توضح ذلك فيقول: [وليس الحق في الإسلام طبيعياً مصدره الطبيعة أو العقل البشري، إلا أنه منعاً مما يتخوف منه القانونيين من جعل مصدر الحقوق إلّهياً وبالتالي إطلاق الحرية في ممارسة الحق، منعاً من هذا الخطر، قرر الإسلام سلفاً تقييد الأفراد في استعمال حقوقهم بمراعاة مصلحة الغير وعدم الإضرار بمصلحة الجماعة فليس الحق مطلقاً وإنما هو مقيد بما يفيد المجتمع ويمنع الضرر عن الآخرين.

---

(١) نقلاً عن الفقه الإسلامي وأدلته، وهبة الزحيلي، ج٤ ص٩.

(٢) د.وهبة الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، ج٤ ص٩.

## والحق في الشريعة يستلزم واجبين:

ـ واجب عام على الناس باحترام حق الشخص وعدم التعرض له.

ـ واجب خاص على صاحب الحق بأن يستعمل حقه بحيث لا يضر بالآخرين][1].

## أنواع الحق:

للحق تقسيمات متعددة باعتبارات مختلفة لكننا سنقف مع قسم واحد منها لأنه ألصق بموضوعنا هذا من ناحية وخشية الإطالة من ناحية أخرى.

والتقسيم الذي سنعرض له هو: تقسيم الحق باعتبار صاحب الحق [ينقسم الحق بهذا الاعتبار إلى ثلاثة أنواع:

١ ـ حق الله.

٢ ـ حق الإنسان.

٣ ـ حق مشترك وهو ما اجتمع فيه الحقان ولكن قد يُغَلَّبْ حق الله أو حق الإنسان الشخصي][2].

### ١ ـ حق الله تعالى (أو الحق العام):

[وهو ما قصد به التقرب إلى الله تعالى وتعظيمه وإقامة شعائر دينه، أو تحقيق النفع العام من غير اختصاص بأحد من الناس، وينسب إلى الله تعالى لعظم خطره وشمول نفعه أي أنه هو حق المجتمع.

**مثال الأول**: العبادات المختلفة من الصلاة والصيام والحج والزكاة والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والنذر واليمين وتسمية الله عند الذبح وكل أمر ذي بال.

---

(١) المصدر السابق ٤/١٠.

(٢) الفقه الإسلامي وأدلته ٤/١٣.

**ومثال الثاني**: الكف عن الجرائم وتطبيق العقوبات من حدود [حد الزنا والقذف والسرقة والحرابة وشرب المسكرات] وتعزيرات على الجرائم المختلفة وصيانة المرافق العامة من أنهار وطرقات ومساجد وغيرها مما لا بد منه للمجتمع][1].

**ـ حكمه:**

حق الله تعالى: لا يجوز إسقاطه بعفو أو صلح أو تنازل، ولا يجوز تغييره؛ فلا يسقط حد السرقة بعفو المسروق أو صلحه مع السارق بعد بلوغ الأمر إلى الحاكم، ولا يسقط حد الزنا بعفو الزوج أو غيره أو إباحة المرأة نفسها.

ولا يورث هذا الحق فلا يجب على الورثة ما فات مورثهم من عبادات، إلا إذا أوصى بإخراجها، ولا يسأل الوارث عن جريمة المورث][2].

وهذا الحق يقبل التداخل بمعنى أنه المتعدي لو كرر عدوانه فإنه يعاقب عقاباً واحداً، فلو زنى المجرم عدة مرات فإنه يقام عليه الحد مرة واحدة، وإقامة الحكم هنا خاص بولي الأمر أو من يقيمه ولي الأمر لاستيفاء ذلك ويجعل ذلك مهمته.

**٢ ـ حق الإنسان:**

[وهو ما يقصد منه حماية مصلحة الشخص، سواء أكان الحق عاماً كالحفاظ على الصحة والأولاد والأموال وتحقيق الأمن وقمع الجريمة ورد العدوان والتمتع بالمرافق العامة للدولة.

أم كان الحق خاصاً كرعاية حق المالك في ملكه وحق البائع في الثمن والمشترى في المبيع. . .][3].

---

(١) المرجع السابق نفسه ١٣/٤.
(٢) الفقه الإسلامي وأدلته ج٤، ص١٤.
(٣) المرجع السابق نفسه ١٤/٤.

ـ حكمه:

[وحكم هذا الحق أنه يجوز لصاحبه التنازل عنه أو إسقاطه بالعفو أو الصلح أو الإبراء أو الإباحة، ويجري فيه التوارث ولا يقبل التداخل فتتكرر فيه العقوبة على كل جريمة على حدة، واستيفاؤه منوط بصاحب الحق أو وليه][1].

**٣ ـ الحق المشترك:**

[وهو الحق الذي يجتمع فيه الحقان: حق الله وحق الشخص، لكن إما أن يغلب فيه حق الله تعالى، أو حق الشخص. فمثال الأول: [الذي يغلب فيه حق الله].

عدة المطلقة فيها حق الله وهو صيانة الأنساب من الاختلاط وفيها حق الشخص وهو المحافظة على نسب أولاده. لكن حق الله غالب لأن في صيانة الأنساب نفعاً عاماً للمجتمع وهو حمايته من الفوضى والانهيار.

ومثاله أيضاً: صيانة الإنسان حياته وصحته وماله فيها حقان لكن حق الله غالب لعموم النفع العائد على المجتمع. ومثال الثاني: [الذي يغلب فيه حق العبد (الشخصي)] حق القصاص الثابت لولي المقتول. فيه حقان:

حق لله وهو تطهير المجتمع من جريمة القتل النكراء، وحق الشخص وهو شفاء غيظه وتطييب نفسه بقتل القاتل وهذا الحق هو الغالب، لأن مبنى القصاص على المماثلة بقوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾[2]. . والمماثلة ترجح حق الشخص][3].

وحقوق الإنسان في الإسلام والتي نحن بصدد البحث عنها هي من الحقوق المشتركة التي فيها حق لله وحق للإنسان وحقوق الله غالبة فيها.

---

(١) المرجع السابق نفسه ١٤/٤.

(٢) المائدة: ٤٥.

(٣) الفقه الإسلامي وأدلته ١٥/٤.

ولنضرب على ذلك مثلاً بحق «الحياة» ففيه حقان: حق لله تعالى وهو صيانة دم حرام عن العبث به أو إهداره، وحق للإنسان وهو حريته في تصرفاته الشخصية لكن هذا الحق ضعيف بجانب حق الله، وعلى هذا فلا يجوز للإنسان باسم الحرية الشخصية أن يقتل نفسه (بالانتحار مثلاً) أو أن يعتدي على جزء من أجزائه مثل «التبرع بالأعضاء»، وهذا هو الذي يميز الإسلام عن الحضارة الغربية، فالحضارة الغربية تنظر إلى الحقوق على أنها حرية شخصية يجوز للإنسان أن يتمسك بحقه أو يتنازل عنه.. لكن الحقوق في الإسلام منح إلّهية لا يجوز التفريط فيها ولا التنازل عنها وهذا ما سنعرض له بالتفصيل فيما بعد بإذن الله.

## الواجب:

لما عرفنا الحق وهو الشق الأول في موضوعنا «حقوق الإنسان وواجباته» تحتم علينا أن نعرف بالواجب كذلك لغة وشرعاً.

## الواجب لغة:

قال الرازي في مختار الصحاح: [(وَجَبَ) الشيء يجب (وجوباً) لزم واستوجبه استحقه.....][1].

## تعريف الواجب اصطلاحاً:

[الواجب شرعاً هو ما طلب الشارع فعله من المكلف طلباً حتماً بأن اقترن طلبه بما يدل على تحتيمه، كما إذا كانت صيغة الطلب نفسها تدل على التحتيم، أو دل على تحتيم فعله ترتيب العقوبة على تركه، أو أية قرينة شرعية أخرى.

---

(١) محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، مختار الصحاح، بيروت، دار الجيل بدون ت، مادة وجب ص٧٠٩.

فالصيام واجب لأن الصيغة التي طلب بها دلت على تحتيمه، إذ قال سبحانه: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾[1].

وإيتاء الزوجات مهورهن واجب، إذ قال سبحانه: ﴿فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾[2].

وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وبر الوالدين وغير ذلك من المأمورات التي وردت صيغة الأمر بها مطلقة، ودل على تحتيم فعلها ما ورد في عدة نصوص من استحقاق المكلف العقاب بتركها.

فمتى طلب الشارع الفعل ودلت القرينة على أن طلبه على وجه التحتيم كان الفعل واجباً سواء أكانت القرينة صيغة الطلب نفسها أم أمراً خارجاً[3].

## نتيجة:

من خلال ما سبق ندرك أن الحق والواجب يرتبطان ارتباطاً وثيقاً وهما متقاربان في معناهما ولا نكون مغالين إذا قلنا إنهما بمعنى واحد.

فحقوق الإنسان مع كونها منح إلّهية فهي كذلك مأمورات شرعية طلبها من الإنسان وحثَّ عليها وحذر من التفريط فيها، فمثلاً الحرية مع كونها حقاً من حقوق الإنسان فهي مأمور بها من قبل الشرع، قال ﷺ: «**من أعطى الذلة من نفسه طائعاً غيره مكره فليس منا**»[4].

والله عزَّ وجلَّ ينعى على من امتهنت كرامته وحيل بينه وبين إظهار دينه أن يظل بأرض يمتهن فيها وتضيع فيها كرامته ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ

---

(١) البقرة: ١٨٣.

(٢) النساء: ٢٤.

(٣) عبدالوهاب خلاف، علم أصول الفقه وخلاصة تاريخ التشريع الإسلامي، بدون ناشر، طبعة ١١٨هـ /١٩٩٨م ص١٠٠، ١٠١.

(٤) جزء من حديث أبي ذر أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط ١٥١/١ حديث ٤٧١ وقال: تفرد به يزيد بن ربيعة، وذكره المنذري في التغريب والترهيب ٣٤٢/٢ حديث ٢٦، ٤٥ وقال: رواه الطبراني.

ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمۡ قَالُواْ كُنَّا مُسۡتَضۡعَفِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ قَالُوٓاْ أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٗ فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ لَا يَسۡتَطِيعُونَ حِيلَةٗ وَلَا يَهۡتَدُونَ سَبِيلٗا ﴿٩٨﴾ فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعۡفُوَ عَنۡهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوّٗا غَفُورٗا ﴿٩٩﴾﴾ [النساء: ٩٧، ٩٩] فإذا قلت إن الحرية حق فالمعنى أنها واجبة للإنسان لا يجوز له أن يتنازل عنها أو يفرط فيها. وإذا قلت الحرية واجبة فالمعنى كذلك أنها حق له.